الإمام عبد القادر بن أحمد، والقاضي العلَّامة أحمد بن مُحمَّد قاطن، وشيخنا العلَّامة قاسِم بن يَحْيَى الخَوْلاني، وغيرهم. وعاد إلى وطنه وقد برع في الفقه والحديث والعربية. ثم بعد وصوله إلى بلده عكف عليه الطلبة من أهلها ورغبوا فيه وأخذوا عنه فنوناً من العلم، وعظم شأنه هنالك، وصار المرجع إليه في التدريس والإفتاء في (ضمد) وغيرها، كصبيا، وأبي عريش. ثم ارتحل إلى صنعاء رحلة أخرى فقرأ عليّ في «شرح الغاية»، وسألني بمسائل عديدة أجبت عليها بجواب سميته (العقد المنضد في جيد مسائل علَّامة ضمد) ثم عاد إلى بلاده، وهو الآن مستمر على حاله الجميل في نشر العلم والفتوى والزهد والاشتغال بخاصة النفس. ثم (مات) رحمه اللَّه في سنة ١٢٢٢ اثنتين وعشرين ومائتين وألف تقريباً.

٤٥

(مولانا الإمام المتوكل على اللَّه أحمد ابن الإمام المنصور باللَّه عليّ ابن الإمام المهدي العبَّاس)

ابن الإمام المنصور بن الحسين ابن الإمام المتوكل القاسِم بن حُسين بن أحمد بن حسن بن القاسم. وسيأتي تمام نسبه في ترجمة جدّه الحَسَن بن القاسِم. مولده حفظه اللَّه حسبما أخبرني به في أول شهر محرم سنة ١١٧٠[1] سبعين ومائة وألف. وهو أكبر أولاد أبيه. ولما صارت الخلافة إلى أبيه جعل إليه بعد مضيّ نحو نصف سنة إمارة الأجناد، وولاية صنعاء وما إليها، فباشر ذلك بحرمة وافرة ومهابة ونجابة وحسن سياسة، وبعثه والده لحرب من يناوئه غير مرة فظفر، وانتصر. وهو ميمون النقيبة، ما باشر حرباً من الحروب إلَّا وكان الغلب له. وله في ذلك مواقف لا يتسع المقام لبسطها، منها حرب (حده) بينه وبين بكيل، لما خرج بهم سيدي علي بن أحمد بن مُحمَّد بن إسْحاق بن المهدي. ومنها خروجه بجنده إلى بني الحارث لما أفسدوا فاستولى على جميعهم. ومنها حرب الروضة لما خرج أهلها عن الطاعة بسبب تغرير جماعة من السادة الكباسية وآل أبي طالب عليهم، وعاضدهم على ذلك سيدي أحمد بن عبد اللَّه بن المهدي، فاستولى عليهم مولانا المتوكل على اللَّه في أيام والده رحمه اللَّه. وما زال في خلافة والده جميعها يسوس أمر الناس وينوب عن أبيه في كثير من الأمور، ويفاوضه الوزراء في غالب ما تدعو إليه الحاجة، حتى ولي الوزارة الفقيه حَسن بن حَسن عُثمان بعد والده فلم يسلك مسلك الوزراء، بل ما زال يواحش بين الإمام المنصور باللَّه رحمه اللَّه وولده. وتزايد الأمر مع سوء تدبير الوزير المذكور

(١) ترجمته في: نيل الوطر: ١/ ١٥٣؛ الأعلام: ١/ ١٨٢.

وضعف رأيه حتى كادت الدولة أن تذهب، وتقاصر ظلها وهلكت الرعايا وانقطعت الطرق ومات كثير من أهل صنعاء جوعاً بسبب حصارها، فعند ذلك وقع من مولانا المتوكل على اللَّه ما سيأتي في ترجمة والده رحمه اللَّه. وكانت البيعة له في الليلة التي مات فيها والده وهي ليلة خامس عشر شهر رمضان سنة ١٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين وألف. وكنت أول من بايعه، وتوليت قبض البيعة له من إخوته وأعمامه وسائر آل الإمام القاسم، وأعيان العلماء والرؤساء، وكان تحرير هذه الترجمة في اليوم الثاني من بيعته. وتولى وزارته الفقيه عليّ بن إسماعيل فارع. وشاركه في بعض الأعمال القاضي حَسن بن علي عبد الواسع. ثم (توفي) رحمه اللَّه ليلة الأربعاء لعله سابع عشر شهر شوّال سنة ١٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين وألف. وقام بعده ولده عبد اللَّه، وتلقب بالمهدي، وكنت المتولي لأخذ البيعة له بعد مبايعتي له، وستأتي له ترجمة مستقلة إن شاء اللَّه تعالى.

٤٦

(أحمد بن علي بن عبد القادر بن مُحمَّد ابن إبراهيم بن مُحمَّد بن تميم بن عبد الصَّمد بن أبي الحسن ابن عبد الصَّمد بن تميم)[1]

التقيّ أبو العباس الحسينيّ العبيديّ البعليّ الأصل القاهريّ. ويُعرف بابن المقريزي، وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة، (قال السخاوي): كان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه، بعد الستين، يعني وسبعمائة. وقال ابن حَجَر: إنه رأى بخطه ما يدل على تعيينه في سنة ٦٦ ستٍّ وستين بالقاهرة، ونشأ بها نشأة حسنة فحفظ القرآن وسمع من جماعة من الشيوخ كالآمدي، والبلقيني، والعراقي، والهيثمي. وحجّ فسمع بمكة من علمائها، وسمع في الشام من جماعة، واشتغل كثيراً، وطاف على الشيوخ، ولقي الكبار، وجالس الأئمة، وتفقه حنفياً على مذهب جدّهِ لأُمّه، ثم تحول شافعياً (قال السخاوي): ولكن كان مائلاً إلى الظاهر، وكذا قال ابن حجر: إنه أحبّ الحديث فواظب عليه حتى كان يتهم بمذهب ابن حَزْم. انتهى. ونظر في عدة فنون، وشارك في الفضائل، وقال النظم والنثر، وناب في الحكم وكتب

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٢/ ٢١؛ شذرات الذهب: ٧/ ٢٥٥؛ المنهل الصافي: ١/ ٣٩٤؛ كشف الظنون: ٧، ٧١، ١٥٨، ١٧٠؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٠٠، ٢٠٧، ٢/ ٥١٢؛ معجم المؤلفين: ٢/ ١١؛ الأعلام: ١/ ١٧٧؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/ ٨٤٤؛ تاريخ آداب اللغة: ٢/ ١٨٤.